

المحاضرة 1-1

اشكالية المصطلح

لم يتفق النقاد على مصطلح واحد يطلق على الانتاج الأدبي الذي كتب في فترة التسعينات من الألفية المنصرمة و هي مرحلة هامة من مراحل الأدب الجزائري المعاصر حيث نجد مجموعة من المصطلحات التي استوفت حقلها الدلالي مثل ..

- أدب المحنة

- أدب الأزمة

- أدب الفجعة

- أدب المأساة

- أدب العشرية السوداء

- أدب العنف

- الأدب التسجيلي الجديد

- أدب التسعينات

- أدب الشباب

- أدب العشرية الحمراء

- الأدب الاستعجالي

- محكيات الارهاب (اطلق عليه مسمى محكيات الارهاب لأن الرواية هي الجنس الذي يمثل الانتاج الأكثر غزارة في أدب المحنة مقارنة مع غيره) .

كل هذه المصطلحات تدل على الانتاج الأدبي الذي كتب في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ الجزائر المعاصر والذي جاء نتيجة لظروف سياسية ذات طبيعة خاصة أثرت على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية للمجتمع حيث تجلى كل هذا في الأعمال الفنية التي كانت مرآة عاكسة لكل الأحداث التي تسببت في المعاناة و الآلام التي عانى منها الشعب الجزائري في فترة الموت و الدماء (فترة العشرية السوداء) و سجلت هذه الأعمال

كل التحولات الانسانية المؤلمة و الصعبة التي حدثت في المجتمع و التي تطلبت توثيقا و رسدا لها و قام الأدب بدوره الحقيقي في تسجيلها و اظهار فظاعتها و قسوتها و هنا ظهرت هذه التسميات التي اطلقها النقاد على انتاج هذه المرحلة , و عندما نقول ادب المحنة أو أدب الأزمة يعني أن هناك معطيات و ظروف أودت الى ظهور هذا النوع من الانتاج الأدبي ، فالأزمة التي ألمت بالجزائر في تسعينات القرن الماضي نتيجة الأوضاع السياسية التي أدخلت البلاد في مأساة حقيقية ، بعد مظاهرات 1988 و الانتفاضة الشعبية العارمة بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة ، و اللآ عدالة ، و اللآ مساواة الناتجة عن سياسة الحزب الواحد.

هذا و الى جانب الأزمة العالمية التي ألمت بكل دول العالم , طالب المتظاهرون بتحسين الأوضاع الاجتماعية و الاهتمام بالتنمية الاقتصادية و رفع المتظاهرون شعار التغيير الذي تحقق مع صدور الدستور في فيفري 23 1988 اللذي فتح المجال للتعددية السياسية - بعد احتكار لعقود بمقولة الشرعية الثورية - و التاريخية لحزب جبهة التحرير الوطني.

اتسعت الهوة بين السلطة و المجتمع , هذه السلطة التي لم تستطع القيام بواجباتها تجاه الشعب الذي أحس بالظلم و الاحتقار حيث استولت الطبقة الحاكمة على كل الامتيازات و أغرقت الشعب في الفقر و حرمة الحياة الكريمة. جاءت الانتخابات اللتي فاز بها التيار الاسلامي بعد اندفاع أغلبية الشعب اتجاهه , حيث نادى هذا التيار بالعدالة و المساواة باسم الدين.

بعد الغاء الانتخابات تصاعد المد الاسلامي الذي حاول الانتقام من السلطة الراهنة التي وقفت أمام وصوله الى السلطة و الحكم الذي كان أهم أهدافه , عمّت لاضطرابات البلاد في صيف 1991 و أعلنت حالة الطوارئ ، فأصبحت البلاد تحت الحكم العسكري ، و استقال الرئيس (شادلي بن جديد) و سقطت حكومة الاصلاح و اغتيل الرئيس (محمد بوضياف). نادى قادة الحزب الاسلامي الى الجهاد ، التحق الكثير من أفراد الشعب بالجبال لمواجهة السلطة التي واجهته بدورها.....

هذه الأحداث السياسية كرسست العنف الدموي الذي استمر لعشرية كاملة.

واكب الادب هذه الأحداث و سجلها و وثقها ابداعيا حيث برز الخطاب السياسي في كل الأعمال الأدبية التي أصبحت مجالاً للصراع بين التيارات المختلفة التي أثّرت على المجتمع و مزقته و أحدث شرخا في جسده.

افتقد الجزائريون الأمن و الأمان في ظل الاقتتال المتواصل بين الجماعات الارهابية المسلحة و الجيش الجزائري ، دفع الشعب في تلك الفترة ثمنا باهظا قضى الآلاف على يد الارهاب الأعمى ، حواجز مزيفة ، هجمات عشوائية على القرى و المداشر و قتل المواطنين الأبرياء و قتل المثقفين الصحفيين الفنانين العسكريين و كل من كان يعمل في الأجهزة الأمنية.

هذه المحنة التي ألمّت بالشعب الجزائري أدت الى التفريق بين أفراد العائلة الواحدة التي ينتمي أحد أفرادها الى الجماعات الارهابية و يواجه فرد العائلة الاخرى التي ينتمي الى الجيش أو الأمن.

كل هذا أدى الى أحداث مأساوية و فجاج فظيعة طبعت يوميات الجزائري و الأدب رافق هذه الفجاج التي فاقت في قسوتها و بشاعتها الخيال فكان يصطبغ بطابع السوداوية فهو تعبير حقيقي عن المآسي و الفظائع التي طبعت حياة الشعب و عانى منها معاناة كبيرة مع أنه لم يكن السبب فيها بل كان ضحية لها.

هذه الأوضاع القاسية التي عانى منها المواطن العادي و التي لم يكن يعرف حقيقتها و لا متى تتغير الى الأحسن و تنتهي هذه المحنة ،عايشها المبدع و عبر عنها بكل صدق ،فكان لسان حال الفرد الجزائري حيث صور ألمه و عذابه و محنته حين جسدها عبر مختلف الأجناس الأدبية ،و لكن الرواية كانت ابرز الأجناس في تجسيد و تصوير المحنة الجزائرية بكل جوانبها فكانت كتابات الروائيين صورة صادقة عن الأحداث فقد رصدوا و وثّقوا و سجّلوا أحداث تلك الفترة القائمة من تاريخ الجزائر بكل أبعادها.

كانت كتابات بعض الأدباء تسجيلا و توثيقا للمرحلة و رسدا للمأساة و الفجيعة بكل أحداثها و لكنها تفتقر الى السمات الجمالية التي تميز الفن الأدبي كما نجد بالمقابل كتابات تسجل و توثق و ترصد المأساة و لكن ببنية و جمالية تمثل قمة الابداع الفني.

ادب المحنة أم الأدب الاستعجالي ؟

لما نقول أدب المحنة أو أدب الأزمة أو أدب الاستعجال يعني هناك شروط خلقت هذا النوع من الأدب في الجزائر حيث نجد غزارة كبيرة في انتاج النصوص الروائية و الشعرية اذ لم تشهد الساحة الأدبية زخم في الانتاج الأدبي مثلما حصل في هذه الفترة و لكننا نلاحظ تمايزا و اختلافا واضحا بينها من الجانب الابداعي والجمالي.

و عندما نقول أدب المحنة أو أدب الأزمة أو ادب الاستعجال فهذا يعني أن له خصوصية و يمكن القول أنه أدب ولد من رحم المأساة ،و عند الحديث عن هذا الأدب فهذا يعني أن هناك فرق تتجاذب فيما بينها صنعت ما يسمى بالمحنة أدت الى استجابة أدبية استعجالية لتصوير و تسجيل ما يحدث لان هذا الأدب تأريخ لمرحلة تاريخية صعبة عانى منها المجتمع فحتى أن دلالة كلمة المحنة وفق المنظور التاريخي الزمني كانت تعني في القديم البلاء و الشدة و الاختبار لمعرفة الجيد من السيء ،و الآن تعني ما هو مأزقي و مأساوي ،و الاستعجال يعني سرعة الاستجابة الأدبية للقبض على اللحظة الفارقة في التاريخ نتيجة الأحداث التي أوجدتها ظروف طارئة و كانت لها قوة تأثير هائلة على حياة الأفراد في الجزائر ،لقسوتها و هولها و فاجعتها فنسارعت الأفلام لتسجيلها و توثيقها ابداعيا حتى و ان كان بعضهم لا يتحكم في آليات الابداع الحقيقية.

و لكن الأعمال النقدية المواكبة لهذا الانتاج نجدها قليلة جدا و قد أشار الناقد (وحيد بوعزيز) الى القضية أي عدم مواكبة المؤسسة النقدية الجزائرية للوتيرة الابداعية الغزيرة بشكل مقبول بما معناه: أنّ غياب المؤسسة النقدية ليس معناه أنه لا يوجد نقاد جيدون و لكن الظروف السائدة هي التي انتجت هذا الوضع كما ان غياب مؤسسة للكتابة الروائية في الجزائر من منظور علم اجتماع الأدب لا يعني عدم وجود روائيين جيدين ... فالكثرة في الكتابة الروائية أو غيرها أفضل من الندرة ، و أنّ الكثرة و التنافسية تؤدي لا محالة الى الفرز الجيد حينما تتيح الظروف الفرصة للنقاد و الجامعيين لإثراء النقاش حول هذه الأعمال ... فالعملة الجيدة دائما طاردة للعملة الرديئة في كل الأسواق.

و قد أطلقت تسمية أدب المحنة التسمية الأكثر التصاقا بهذا الأدب للأسباب التي تحدّثنا عنها سابقا و لكن هناك تسمية أخرى التصقت أيضا بهذا الأدب لأسباب مغايرة حيث أنّ البعض من كتاب هذا الأدب كان يكتب على عجلة دون تأمل كاف و تنقيح و تدقيق يتطلبه الادب ممّا ينفي عنه الجمالية التي يجب أن تميز الابداع و يمكن أن نعيد أسباب الاستعجال الى :

- انّ تقنيات الكتابة في الادب الاستعجالي فرضتها سلطة الواقع على الكتابة و قد أكد (ياوس) الى أن المنعطفات التاريخية الكبرى التي تحدث في تاريخ الحضارات الانسانية من شأنها أن تسارع على تكوين قراءة جديدة أو أنّ الأعمال الجديدة تكون مرتبطة بهذه المنعطفات أو التحوّلات الكبرى التي تقدّم رواية مغايرة للأفاق أو الانتظارات السابقة بحكم ما تحمله تلك التحوّلات من تصورات جديدة للعالم

وأهم سبب يفسر الاستعجال في الكتابة الابداعية وخاصة الرواية - التي هي الأكثر نصيبا من هذا الأدب - هو أن الأدب الاستعجالي كتب للتسجيل و التوثيق السريع لرصد ما يجري في الواقع من فظائع و مآسي و أحداث بشعة تفوق الخيال عايشها الكاتب بألم و حزن و دهشة لما يحدث فكان اهتمامه منصب على نقل و تصوير هذه المجازر و الفظائع و القتل العشوائي و بحور دماء الأبرياء..... لذا لم يكن يلتفت كثيرا الى الجماليات فهمه كان توثيق اللحظة بصدقها و واقعيتها خاصة و أنّ أغلب من كتبوا أدب المحنة لم يكونوا أدباء أساسا بل كان أغلبهم من الصحفيين الذين عاشوا هذه الأحداث القاسية و قاموا بنقلها للقارئ و لأنهم تأثروا الى حد بعيد بما عانوا لفداحتها و بشاعته عمدوا الى الكتابة الروائية خاصة حيث تولدت لديهم رغبة قوية في عدم الاكتفاء بنقل الاخبار و كتابة مقالات صحفية فقط تسجيل اللحظة و الحدث الى كتابة فنية تخلد هذه الوقائع اللا معقولة و المجنونة.

فجاءت هذه الأعمال سريعة و مستعجلة تميل الى التقرير الصحفي و التسجيل و الرصد و التوثيق و تفتقر الى الفنية و الجمالية المميزة للأعمال الأدبية الحقيقية و وصف أحد النقاد أن انتاج عشرية الدم يمكن أن نعتبره شهادات على الأحداث و توثيق صادق لها أكثر من كونه رواية فاغلب رواد أدب هذه المرحلة ينتمون الى مجال الصحافة و لذا نجد كتاباتهم تنصب على الحدث لنقله بصدق دون الالتفات الى الجوانب الجمالية المميزة للإبداع ولهذا سمي هذا الانتاج بالأدب الاستعجالي.

يفرق النقاد بين الاستعجال في الأدب و مصطلح الأدب الاستعجالي ,

- فالاستعجال في الأدب هو سمة الأدب الذي يصدره الكاتب المتهافت عل الشهرة المفتون بسرعة الظهور في الفضاء الابداعي كأديب ينتج الأعمال الابداعية التي يراها متميزة مع انها تفتقر الى أدنى مقومات الادب نتيجة استعجاله للتواجد في الساحة الأدبية.

- والأدب الاستعجالي الذي فرضه واقع اجتماعي و سياسي و ثقافي يشير الى حاجة المثقف الى التنفيس عن الضغط النفسي الذي سيطر زمن الارهاب و كانت الكتابة هي الوسيلة الوحيدة للتنفيس فكان هذا الأدب استجابة لمقتضيات المرحلة و ظروف الواقع الراهن - أي فترة الارهاب - و هنا نجد أن المثقف يكون مدفوعا الى الكتابة الأدبية في محاولة منه لتسجيل الوقائع و التأريخ للمرحلة لحفظها في الذاكرة التاريخية لتطلع الأجيال عليها لتعرفهم بالأحداث القاسية و الوقائع البشعة و كيفية تعامل هذا المثقف معها و كيفية رصدها و توثيقها.

وهذا الأدب يحمل قيما تسجيلية و فنية و أدبية في الوقت نفسه ، و بناءا عليه فان مصطلح الأدب الاستعجالي يمكن أن ننظر اليه كفعالية و استراتيجية اتجاه الواقع قوامها البنية الخطابية التحتية و قد حاول (الأعرج و اسيني) أن يعتمد على مدلول الاستعجال الفني للأدب أنه من أجل القبض على مختلف اللحظات التي عايشها أفراد المجتمع الجزائري و هذا ما جعله يقر صراحة بمصطلح الأدب الاستعجالي.

الهدف العام للمحاضرة:

- معرفة الأفكار العامة للمحاضرة
- أسباب تعدد التسميات في هذا الأدب
- أسباب الاستعجال في الكتابة

المراجع:

- أدب الاستعجال في عشرية الجزائر السوداء
عبد الحفيظ سجال مقال نشر بتاريخ 4 / 3 / 2018
<https://manshoor.com/society/algerian-/terrorism-literature>
<https://alittihad.ae/article/123926/2007->
- الاستعجال في الكتابة فعل ايجابي أم سلبي
أمين الزاوي موقع العرب 30 / 12 / 2019

أنشطة التقويم:

- اسئلة حول الأفكار الرئيسية في المحاضرة
- كتابة مقال تناقش من خلاله مصطلح الأدب الاستعجالي